الأستــاذ: غـفـور عـبـد البـاقـي.

المقياس: تربص ميداني.

السنة الثالثة ليسانس- أنتروبولوجيا-

شعبة الأنتروبولوجيا- قسم علم الاجتماع.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

مقدمة:

إن إخراج البحث- شكلا ومضمونا- يتطلب من الباحث كفاءة علمية، وجهدا تنظيميا، وتفكيرا موضوعيا، ودقة لغوية في مختلف مراحل عمله البحثي. وتختلف الأبحاث العلمية الجامعية من حيث مناهجها وغاياتها وأحجامها تبعا للتخصص وللمستوى العلمي،

على الباحث أن يتحرى خلال بحثه أصالة وجدة المشكلة او الموضوع البحثي، بحيث يشكل عمله إضافة علمية ترفد البناء المعرفي الإنساني، وأن يظهره بحلّة تليق بجلال العلم ومكانة طالبه ودوره المجتمعي.

اختيار موضوع الدراسة أو البحث:

- إن أول معضلة تواجه الطالب في إعداد المذكرة أو البحث هي اختيار موضوعها. فعادة ما يشعر الطالب الباحث بصعوبة في الاهتداء إلى موضوع صالح للبحث وفق المرحلة التي هو فيها، لأنه قليل الزاد المعرفي، و ما زال في بداية الطريق، و ليس له تجربة في ميدان البحث.

- ومن الأفضل للطالب الباحث أن يختار موضوعه بنفسه عن وعي و إدراك و قناعة، و الاختيار لا يكون مجرد عنوان، بل يجب أن يؤسس على قراءات واسعة في الموضوع، و يشفع بخطة مبدئية، تتصدرها مقدمة (مقدمة المشروع)، و تتلوها خاتمة (النتائج المتوقعة...)

- لإيجاد موضوع البحث، لابد أولا وقبل كل شيء من أخذ الوقت الكافي للتفكير في ذلك. فالتفكير الكافي والعميق هو الطريقة الوحيدة لتجنب العودة إلى الوراء.

- قد يحصل أن تظهر بعض المواضيع العامة، من الوهلة الأولى، أنها عديمة الفائدة، لكن بأخذنا الوقت الكافي لفحص مختلف الجوانب التي تحملها، قد نكتشف موضوعا ذو فائدة، كان من الممكن أن يمر دون أن نتفطن إليه،

لو لم نمعن النظر فيه. فدراسة الماضي مثلا: قد تظهر أنها غير ذي فائدة للبعض، ولكن موضوعا مثل موضوع السياسات السابقة لحكومات بلدان المغرب العربي حول اللغة والتعريب يمكن أن يصبح موضوعا شيقا.

– يجب أن يتم الاختيار في منتهى الدقة والاحتراس، إذ كلما كان الاختيار موفقا، كلما تذلل الكثير من المشاكل المهمة في أولها والعكس.

– من الأفضل أن تكتب موضوعا محددا بشكل جيد وأبعاد واضحة، من أن تكتب موضوعا موسعا بشكل ضعيف وغامض.

المشكلة وسؤال الانطلاق:

هناك إجماع تام لدى الباحثين أنّ ما يدفع الباحث إلى القيام بالبحث العلمي هو وجود مشكلة، فما الذي نعنيه إذا بالمشكلة؟

المشكلة بصورة بسيطة تعني أنّ هناك أمرا ما لا يسير في الاتّجاه الصحيح الذي يجب أن يسير فيه. وعلينا أن نترجم عمليا وإجرائيا هذا الوعي بمشكلة البحث؟ وهذا ما يعرف بسؤال الانطلاق. فسؤال الانطلاق باختصار هو الترجمة أو التحويل الفعلي والعملي للمشكلة في سؤال عام جامع لما يريد الباحث تفسيره وإيجاد أجوبة له. وعليه فسؤال الانطلاق يحدد آفاق وحدود البحث، وتفادي المتاهات التي قد تتشكل.

ومن أجل وصول الباحث إلى سؤال الانطلاق هذا، يلجأ إلى المصادر الملائمة والمساعدة على ذلك، مثل الملاحظات الشخصية حول ظاهرة ما، أو من خلال القراءات لبعض الكتب والمجلات، أو الحصص التليفزيونية...الخ، كما قد يكون مصدره أعمال أكاديمية سابقة، يعتقد الباحث أنه يجب دراستها من زوايا أخرى لم يتم التطرق إليها، أو يكون باستشارة الأستاذ المشرف على العمل والملم بالموضوع، أو اقتراح من طرف هيئة بحث. هذه المصادر من شأنها أن تساهم في بلورة الوعي بسؤال الانطلاق، وتعطيه الوضوح والدقة والمنطق اللازمين.

تكمن أهمية سؤال الانطلاق حسب "موريس انجلس" في أنه يعطينا الخطوط العريضة والأساسية لمشروع لبحث، وأيضا الأرضية التي يستند إليها، ليس على المستوى الميداني فحسب، بل على المحتوى النظري أيضا، وحتى يكون هذا السؤال محدد، يجب أن يحتوي على معايير معيّنة، لعل أهمها البساطة والوضوح والدقة، بعيد كل البعد عن سوء الفهم والتعقيد والغموض، إضافة إلى ذلك يجب أن يكون قابل للإنجاز والمعالجة، بمعنى يمكن الإجابة عنه واقعيا وخاليا من الأحكام القيمية وأن يكون ملائما للدراسة ويهدف إلى الفهم والتّفسير.

الجولة الاستطلاعية:

تعتبر الجولة الاستطلاعية عملية مكملة ومدعمة للقراءات وفي تداخل معها، بمعنى أنها تكون معها في نفس الوقت.

وتكمن أهمية هذه الجولة خاصة في الدراسة الميدانية، حيث تساعد على التعرف على ميدان البحث والتأقلم معه، ومعرفة بعض جوانبه التي لا تظهرها حتما القراءات، كما تكمن أهميتها أيضا في كونها تسمح بالتوجه بالفعل نحو بناء عناصر الإشكالية والفرضيات، وملاحظة المؤشرات التي لا تخطر على بال الباحث عند القراءة فقط، إضافة إلى ذلك تعمل الزيارة الاستطلاعية على كشف العقبات والصعوبات التي من الممكن أن يواجهها الباحث أثناء دراسته الميدانية، والتي يجب عليه أن يتجاوزها من دون المساس بالطابع العلمي للبحث، كما تضع البحث على مدار الواقعية والقابلية للإنجاز.

بناء الإشكالية:

الإشكالية هي المنظور الذي يقرر الباحث تبنيه، لمعالجة المشكلة المطروحة من خلال سؤال الانطلاق، وهي تشكل مرحلة مفصلية في البحث، بحيث يتحوّل سؤال الانطلاق إلى سؤال مركزي للبحث، يتلخص فيه الهدف من الدراسة.

يجب أن تكون الإشكالية دقيقة جدا، وواضحة وموضوعة في إطار زمني ومكاني محددين. فكلما ضاقت المشكلة، كلما كانت النتائج أدق.

بناء الفرضيات:

يمكن أن نعرّف الفرضية على أنها جزء من البناء تشمل جملة من المتغيرات (متغير مستقل، تابع)، توجد بينها علاقة وتسلسل منطقي، يتحدد من خلاله طبيعة كل متغير بمعنى أن هذه المتغيرات ليست موجودة عشوائيا، وإنما بينها علاقة مترابطة منطقيا، تحدد لنا طبيعة كل متغيّر.

كما تعرف أيضا على أنه اقتراح مؤقت، يتضمن وجود علاقة تفسيرية سببية مسبقة بين متغيرين، وهذا يعني أن أحدهما سبب في ظهور المتغير الآخر ووجوده. تتمثل المهمة الرئيسية للفرضية في إقامة جسر بين التفكير النظري لصياغة المشكلة، والعمل الامبريقي للتجربة. فالفرضية هي ضمان الانتقال من النظري المفاهيمي التجريدي، إلى العملي الملموس الذي يسمح بعملية التحقيق.

وتجدر الإشارة إلى أن اختيار المتغيرات المستقلة لا يكون بصفة اعتباطية، بل يتطلّب جهد كبير من الباحث في استغلال القراءات والدراسات الاستطلاعية وأيضا مدى قدرته عل إيجاد المتغيرات الموضوعية التي تفسّر أسباب وجود مشكلة البحث.

المتغيرات وأنواعها:

المتغير هو كل مفهوم تطبيقي له اكثر من قيمة واحدة أي قيمتين فأكثر، ويتم قياسه كميا أو وصفه كيفيا، وهناك أنواع هي: المتغير المستقل، المتغير التابع، المتغير الوسيط.

-المتغير المستقل: هو المتغير الفاعل في حركة الظاهرة، وهو الذي نحاول ان نفسّر به أسباب وجود المتغير التابع، إذ يجب تغييره عن طريق تغيير الظروف. فهو يعتبر المتغير المؤثر والمفسّر. فإذا كنا نبحث عن العلاقة بين السبب والنتيجة يكون هو السبب، وإذا كنا نبحث عن علاقة التأثير يكون هو العنصر المؤثر.

- المتغير التابع: هو المتغير الذي نبحث عن تفسير اسباب ظهوره، انه يمثل مشكلة البحث التي نريد دراستها، هذا لا يتغير إلا إذا تغير المتغير المستقل، لأن هذا الأخير هو الذي يتحكم في التغير التابع.